بسم الله الرحمن الرحيم

كلية التربية

المجلة التربوية

***

ضمان الجودة النوعية
في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد

اعداد

د/ ميسم فوزي مطير العزام

أستاذ مساعد إدارة تربوية جامعة حائل

المجلة التربوية ـ العدد السابع والأربعون ـ يناير ٢٠١٧م

Print: (ISSN 1687-2649) *Online: (ISSN 2536-9091)*

ملخص

هدفت الدراسة هذه ضمان الجودة والنوعية في مؤسسات التعلم المفتوح والتعلم عن بعد، وحاولت الإجابة عن ما مفهوم التعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟

- ما الأسس المعيارية لضمان الجودة النوعية في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟
- ما مكونات الجودة والنوعية في برامج مؤسسات التعلم عن بعد.
- ما معنى ضمان الجودة والنوعية للتعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟

واستخدم الباحث المنهج الوصفي القائم على استخراج المفاهيم والخصائص والمعايير والدلالة المرتبطة بموضوع الدراسة وأسئلتها.

وفي إجابة السؤال الأول عالج تحديد المصطلحات والمفاهيم التنظيرية لكل من التعلم المفتوح والتعلم عن بعد.

وفي إجابة السؤال الثاني، بين الأسس المعيارية والسياسات التربوية التي تضمن الجودة والنوعية في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟

أما إجابة السؤال الثالث، فعالجت المكونات الأساسية لمفاهيم الجودة والنوعية في برامج مؤسسات التعلم عن بعد.

أما إجابة السؤال الرابع فركزت على بيان خصائص ضمان الجودة والنوعية للتعلم المفتوح والتعلم عن بعد، ومسوغاتها والصعوبات التي تواجه نمط التعلم عن بعد في مؤسسات التعليم العالي، ثم بيان معايير الاعتمادية للتعلم عن بعد لضمان جودته ونوعيته ومراقبته بصورة مستمرة، وخلصت الدراسة إلى بعض التوصيات المعززة لهذا النمط في التعلم عن بعد.

ضمان الجودة النوعية في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد

مقدمة

استمر التعلم الجامعي في معظم بلدان العالم يقدم إلى الطلبة داخل الحرم الجامعي عن طريق المحاضرات التي تعطى للطلبة في المدرجات الجامعية، وقد فرض هذا النظام على الطلبة، ضرورة الذهاب إلى قاعات الدرس للحصول على التعليم في هذه الجامعات التقليدية، وأصبح هذا النمط التقليدي من التعلم هو الخيار الوحيد أمام الراغبين في التعليم من الطلبة، وقد شكل هذا الخيار عقبة أمام العديد من الطلبة الراغبين فيه في التعلم ولكنهم غير قادرين من الالتحاق به، بسبب انخراطهم في الحياة الاقتصادية، أو بعد سكناهم عن هذه الجامعات، أو لضعف حالاتهم الاقتصادية أو الصحية أو غير ذلك من الظروف السياسية أو الأمنية أو الاجتماعية ولكن التطورات الهائلة التي شهدها المجتمع الإنساني في المعرفة والتقنيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، طرحت إمكانات من الخيارات أو الحلول أو البدائل، التي تسهل عملية التعليم للمواطنين على اختلاف ظروفهم، وفتحت أمامهم فرصاً تعليمية عن طريق الوسائط التكنولوجية المتعددة التي يسرت نقل التعليم إلى الراغبين فيه بواسطة الطرق الالكترونية.

فشكلت الجامعات الافتراضية التي تقدم تعلما مفتوحاً إلى الطلبة بغض النظر عن أماكنهم الجغرافية وظروف حياتهم الأخرى، وبرز نظام التعلم عن بعد الذي كان يعتمد في بداية الأمر من منتصف الثمانينات، على المادة المكتوبة التي كانت تشكل المادة التعلمية بين الطلبة من جهة والمدرسية الأكاديمية من جهة أخرى، ثم أدخلت وسائط تعلمية أخرى.

مثل: الدسكت ***Deskitle*** (الكاسيتات) والأقراص المدمجة، ثم تطور الأمر إلى التعلم الألكتروني، بعد ظهور شبكة المعلومات العنكبوتية العالمية، وبروتوكولات خدمة الانترنت في مجالات التربية والتعليم مع بداية منتصف التسعينات.

وقد عزز هذا التوجه من التعلم الالكتروني، إلى إدخال بعض التحولات على دور المعلم والطالب، فارتفعت مركزية اعتماد مبادئ التعلم الذاتي، والتعلم المستمر، والتعلم مدى الحياة بهدف تطوير التعليم في مستوياته المختلفة، من حيث: آلياته ونظمه ومضامينة المعرفية والتقنية لغاية النهوض بالنظم التربوية وتحسين كفاءتها وسرعة التواصل مع مصادر المعرفة والمعلومات... وبفضل سيادة تكنولوجيا المعلومات، والعولمة وديمقراطية التعليم، والديمقراطية في التعليم وحقوق الإنسان، انتشر التعلم عن بعد والتعلم المفتوح، في معظم دول العالم، وأقبل عليه المتعلمون على اختلاف فئاتهم بسبب اشباع احتياجاتهم الفردية والمجتمعية، ومن أهم هذه المسوغات:

١. تعميم ديمقراطية التعليم وتوصيل التعليم إلى كامل فئات المجتمع على الرغم من التباين الجغرافي بينهم.

٢. سهولة تطوير البرامج والحصول على تغذيات مراجعة.
٣. المرونة التي تتميز بها الجداول التعليمية وأوقاتها الدراسية.
٤. الاقتصادية التي يتميز بها هذا النوع من التعلم على الطلبة.
٥. تنوع المواد التعليمية وحسن جودتها.
٦. توجه المدرسة نحو العولمة وتحقيق مبدأ العالمية في برامجها.
٧. الإعلاء من مبادئ التعلم الذاتي والابتعاد عن التلقين والاستظهار.
٨. التركيز على دور التوجيه والإرشاد في دور المعلم التعليمي.
٩. تعميم خبرات المعلمين المتميزين، ومعالجة النقص في المعلمين عن طريق الوسائط المتعددة.

ويشير، الحنيطي (٢٠٠٣، ص٢) إلى أن التعلم عن بعد أخذ يلعب دوراً كبيراً في تغير الطريقة التعليمية في التدريس الجامعي حيث أخذت العديد من الجامعات العريقة تطرح برامج التعلم عن بعد لنيل الدرجات العلمية دون الحاجة لحضور الطلبة إلى الجامعة.

وزاد عدد الجامعات والمؤسسات التعليمية عن بعد بشكل ملفت في الآونة الأخيرة حيث تجاوز عددها في العالم عن ٩٠٠ جامعة يدرس في أكبر ١٢ جامعة منها (*Mega Univesities*) أكثر من ثلاثة ملايين طالب، وفي اليابان أكثر من ٢٠ جامعة يدرسها فيها أكثر من ربع مليون طالب، وفي البحرين ٣٦ مؤسسة اجنبية تطرح برامج تعلم عن بعد، وفي استراليا فإن ١٤% من مجموع الطلبة الجامعيين ملتحقين في برامج التعلم عن بعد.

وتشير تقارير اليونسكو أن جامعات التعلم عن بعد التي ترمي إلى تقديم تعليم عال متميز لخدمة قاعدة عريقة من الراغبين فيه ما زال محدوداً في العالم العربي، فإن هناك بدايات جادة لجامعات متخصصة في التعلم عن بعد في كل من الجزائر، والسودان وفلسطين ودبي والجامعة الافتراضية في سوريا، وأسست الجامعة العربية المفتوحة في الكويت وفتح لها فروع في كل من عمان وبيروت والرياض والقاهرة، وأخذت تطرح برامج على مستوى البكالوريوس والدبلوم ومن الجدير بالذكر أن الجامعة العربية المفتوحة قد أقامت اتفاقيات توأمة مع الجامعة البريطانية المفتوحة.

ويلاحظ أن مؤسسات التعليم الجامعي للتعلم عن بعد في الوطن العربي في تزايد مستمر، رغم الاتجاهات التقليدية المحافظة التي يحملها الكثير من المسؤولين عن التعليم العالي في البلاد العربية ونتيجة للمواقف المختلفة التي يحملها التربويون أو المسؤولين عن التعليم الجامعي في الوطن العربي تجاه برامج التعلم عن بعد، إلا أن الطلبة الذين يقبلون على هذا التعليم في تزايد مستمر، لأنه يمثل أفضل الأساليب المتاحة لهذه الفئات المحرومة من الالتحاق بالجامعات التقليدية.... ولتأمين مخرجات جيدة من جامعات التعلم عن بعد في الوطن العربي، أخذ المسؤولون عن سياسة التعليم العالي ينادون إلى وجود مؤسسات تعليمية مسؤولة لضمان جودة الخريجين من هذه الجامعات فتشكلت هيئات متخصصة لضمان جودة التعليم على

مستوى كل دولة عربية، من أجل وضع الأسس والمعايير والمبادئ والإجراءات والآليات التي تضمن الجودة والنوعية في الخريجين من برامج التعلم عن بعد، فضلاً عن متابعة الإشراف والرقابة على جودة برامجها وحمايتها من السعي وراء تعظيم الأرباح المادية على حساب نوعية جودة المخرجات؛ لأن هذا التوجه يحول التعليم إلى سلعة، قد تسيء إلى مستوى التعليم وجودته ونوعية الخريج لهذا فإن ضمان الجودة والنوعية في التعليم المفتوح والتعليم عن بعد مسالة في غاية الأهمية. لهذا تأتي هذه الدراسة لمعالجة ذلك.

مشكلة الدراسة:

يقصد من هذه الدراسة بيان معايير ضمان الجودة والنوعية في مؤسسات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد. وبالتحديد الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم التعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟
٢. ما معنى ضمان الجودة والنوعية للتعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟
٣. ما الأطر أو الأسس المعيارية لضمان الجودة والنوعية في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟
٤. ما مكونات الجودة والنوعية في برامج مؤسسات التعلم عن بعد؟

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على بيان ضمان الجودة والنوعية في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد داخل مؤسسات التعليم العالي.

تعريف المصطلحات:

١) التعلم المفتوح: فتح الخبرات التعلمية للمتعلم في إطار الزمان والمكان والعمر والبيئات التعلمية والوسائط التقنية لكي يكتسب المتعلم وينمو في خبراته دون قيود.

٢) التعلم عن بعد: هو اكتساب الخبرات التعلمية من قبل المتعلم عن طريق وسائط تكنولوجية متعددة. وهذا لا يحصل إذا تم تصميم الخبرات التعلمية أو البيئة التعلمية. بما يدفع المتعلم على التعلم المتقن.

٣) ضمان الجودة والنوعية: هو التوكيد على تأمين خصائص النوعية في العملية التعلمية والتعلمية، أي تعلم نوعي للخبرات التعلمية؛ يجعل المتعلم قادراً على امتلاك وممارسة الكفايات التعلمية بكل دقة وسرعة واتقان ومهارة. وهذا لا يتأتي إلا من تصميم نظام يشتمل على سياسات وإجراءات لتحقيق متطلبات الجودة ومراقبة استمرارتها في منتجات مؤسسات التعليم عن بعد ووسائطها المختلفة.

السؤال الأول: ما معنى التعليم المفتوح والتعلم عن بعد؟

يقدم الأدب النظري مفاهيم متباينة في هذا الموضوع، ولكني أود أن أقدم أدق المعاني بصور محددة وواضحة ومختصرة:

- **مفهوم التعلم المفتوح:**

هو ما يكتسبه المتعلم ذاتيا من حقائق ومعلومات ومضامين معرفية ومهمات وخبرات تعلمية وغيرها من اتجاهات وقيم، وهو يتفاعل مع المواقف التعلمية التي يشارك فيها المتعلم.

وهو يتعلم لينمو أو ينمو ليتعلم عن طريق التعلم الذاتي في أي وقت أو مكان أو بيئة تعلمية بغض النظر عن عمره أي تعليم مفتوح الزمان والمكان، مفتوح البداية والنهاية تعلم مستمر طيلة حياة الإنسان ما دام قادراً على اكتساب التعلم بصورة ذاتية، تعلم مفتوح في إطار العمر والجندر والصحة والمرض والعادات والتقاليد، والأمن والسياسية والاقتصاد وغير ذلك مما يعيق الإنسان عن استمرار التعلم الذاتي في البيئة الاجتماعية والجغرافية.

التعلم عن بعد:

ما يكتسبه المتعلم وهو يتفاعل مع الخبرات التعلمية من خلال الوسائط المتعددة التي يتفاعل معها المتعلم. حيث البيئة التعلمية المباشرة فالأصل في التعلم أن يكون اكتساب من قبل المتعلم ذاته وهو يتفاعل مع المواقف التعلمية بصورة مباشرة. دون وسيط أما حيثما يكون التعلم عن بعد، فإن المتعلم يتفاعل مع الخبرات التعلمية من خلال وسائط افتراضية يستطيع من خلالها أن يتواصل مع المصادر التعلمية، التي لا تقع أمامه بصورة حية، فيضطر اللجوء إلى وسائط تكنولوجية، تمكنه من الاتصال معها بإيجابية ليتم التواصل والتفاعل واستمرار عملية التعلم من خلال المصادر المتعددة التي يتواصل معها المتعلم عن طريق ذرائع الوسائط التكنولوجية المتعددة لأن التكنولوجيا الحديثة تعظم مصدر التعلم وتسهل اكتسابه، وتجعله في البنى الإدراكية أو الوجدانية أو المهارية.

السؤال الثاني:

ما الأسس المعيارية والسياسات التربوية التي تضمن الجودة والنوعية في التعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟

حينما تغير التربية مصطلحاتها من الصناعة أو الاقتصاد إلى التربية تخلق بعض الإشكالات أو التباين في اختيار اللغة الأكثر دقة، ومع هذا، فإن استخلاص العبر والمعاني مسألة في غاية الأهمية لتجريد الدلالات الصناعية إلى دلالات تربوية، وهكذا يمكن وضع بعض العناصر التي تشكل إطاراً يمثل مفهوم ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي: ومن هذه العناصر:

١. صياغة الأهداف التربوية الصادقة والتي تتصف بالوضوح والجودة، والتي يمكن العمل على تحقيقها بدرجة عالية من الدقة.
٢. جودة النظام التعليمي من حيث اختيار مدخلاته وعملياته ومخرجاته، فإذا تم اختيار مكونات النظام التعليمي واختيار العمليات الأفضل التي تتصل بالتعلم والخبرات التعلمية والطرق المستخدمة والبيئة التعلمية واحكام العلاقات البيئية يمكن ضمان الجودة في المدخلات.
٣. جودة المؤشر والمعيار أي تحديد المعاير الموضوعة التي يمكن أن تكون مقاييس موضوعية للحكم على الأداء أو النتاجات التعلمية النوعية.
٤. جودة التوازن بين التعليم الكمي والتعليم النوعي، لتحقيق التعلم المتوازن لدى المتعلمين.
٥. الجودة الفنية التي تعمل على التوازن بين استخدام التكنولوجيا والاقتصاد لصالح المجتمع المحلي والمتعلم.
٦. جودة التخطيط الذي يقوم على تصميم مبرمج يدمج فيه المواصفات والخصائص، وأداء يقوم على معايير موضوعية، وجودة المنتج المتلائم مع الخصائص والمواصفات المتوقعة في سوق العمل.

وخلاصة القول فإن الجودة في التعلم عن بعد، تتركز في اختيار الأهداف الأنسب، ودرجة تحقيقها في الواقع، ومدى ملاءمة المخرجات (الخريجين) للأهداف المقصودة، وأخيراً مدى تحقيقها لمعايير الجودة المعتمدة في المؤسسات التعلم عن بعد.

أما مبادئ السياسات التربوية التي تعمل على توكيد الجودة والنوعية في مؤسسات التعلم المفتوح فهي عديدة وأهمها:

١) ضرورة تصميم البيئة التعلمية بحيث تشمل: مصادر التعلم، والخدمات التي تقدم للمتعلمين والاحتياجات التقنية والموارد البشرية التي تلزم لتأمين أحسن مناخ في هذه البيئة التعليمة.

٢) القيام بإجراء دراسات مقارنة بين مخرجات المؤسسات التعليمية التقليدية، وبين خريجي مؤسسات التعلم عن بعد، من أجل معرفة المستويات التعليمية في هذه المؤسسات لإعطائها خصائص معيارية تكشف عن حالة الثقة لطلبة برامج التعلم عن بعد مقارنة بطلبة المؤسسات التقليدية.

٣) عمل دراسات مقارنة بين نتائج الامتحانات التي تقوم بها النقابات المهنية لخريجي المؤسسات التقليدية، وخريجي المؤسسات التعلم عهن بعد – لإعطاء مؤشرات موضوعية عن حالة الجودة بين طلبة المؤسسات التعلم عن بعد بهدف تعزيز هذه المؤسسات المستجدة.

٤) القيام بعمليات التقييم الخارجي التي تقوم به لجان مهنية متخصصة لفحص برامج مؤسسات التعلم عن بعد للتعرف الموضوعي على عناصر الجودة في هذه البرامج ... وعادة ما تكون هذه الامتحانات طوعية بطلب من مؤسسات التعلم عن بعد، أو رغبة من الجهات الرسمية الحكومية التي تتمثل في مجالس التعليم العالي أو الهيئات الحكومية المشرفة على مؤسسات التعلم عن بعد، لمقاصد تربوية متعددة.

٥) مقاييس التقييم الذاتي التي تقوم به مؤسسات التعلم عن بعد بهدف تحقيق الجودة والنوعية في برامجها المختلفة. وقد تشمل أراء الطلبة، أو سوق العمل، أو الأهالي لمراقبة الجودة في كل برامجها التعلمية.

أما سياسات ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي التي تقدم برامج في التعلم عن بعد، فتقوم على مجموعة من العناصر الاساسية وهي:

- العمل على تصميم البيئة التعلمية التعليمية لتوفير معايير الجودة المعتمدة من حيث: مصادر التعلم، والخدمات التعليمية المتوفرة للطلبة، والاحتياجات البشرية والتقنية التي تلزم لتفنيذها.

٦) تطبيق شروط الاعتمادية على برامج مؤسسات التعلم عن بعد بهدف حصولها على الاعتماد من الجهات أو الهيئات أو المجالس المحلية أو الدولية المعتمدة لهذا الفرض.

ومن الجدير بالذكر أن إجراءات توكيد الجودة والنوعية في مؤسسات التعلم عن بعد، يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار من المؤسسات التعلمية ذاتها أو من الهيئات المسؤولة عنها في المجتمع لضمان عناصر الجودة وخصائصها النوعية في برامج هذه المؤسسات وخريجيها فضلاً عن صدق أهدافها وملاءمتها للمعايير

الأكاديمية والمهنية، وعمليات التحسين المستمر على كفاءة الخدمات التعليمية ومستوى الخريجين ومسايرة رضى الطلبة. والاهتمام بمتطلبات أصحاب العمل، ومؤسسات التشغيل في القطاعات المختلفة.

السؤال الثالث: ما مكونات الجودة والنوعية في برامج مؤسسات التعلم عن بعد؟

إن الذي يتتبع الأدبيات التي قالها التربويون وغيرهم عن مكونات الجودة في برامج مؤسسات التعلم عن بعد، قد يجد تبايناً في هذه الآراء أو اختلافاً كبيراً وقد يرجع مثل هذا التباين إلى اهتماماتهم الذاتية ومنطلقاتهم الخاصة تجاه هذا الموضوع، والرغم من الاختلافات فهناك عناصر تكاد تكون هي القاسم المشترك بين هذه الآراء، ويمكن تحديدها في المكونات الجوهرية التالية:

١. ضرورة الالتزام الذاتي من مؤسسات التعلم عن بعد بمتطلبات الجودة في برامجها المختلفة، وذلك بتأمين المتطلبات البشرية والمادية والإدارية والفنية والتقنية التي تستدعيها برامج التعلم عن بعد من حيث أهدافها ومضامينها وإجراءاتها وتقويمها بهدف استدامتها وتطويرها بصورة مستمرة من أجل التوازن والتكيف مع المستجدات.

٢. توفير المتطلبات التقنية (التكنولوجية) التي تحتاجها برامج التعلم عن بعد، لتقدم إلى الطلبة بأعلى مستوى من الكفاءة والنوعية ليتمكن الطلبة من التعلم النوعي والنماء في بناهم الإدراكية والعاطفية والحركية ليحسن التفكير بمنهجية وينجز الأعمال بكفايات عالية.

٣. مستوى الخدمات الطلابية المساندة التي تقدم للطبة بهدف إرشادهم أو توجيههم قبل الدراسة وفي أثناءها، إضافة إلى العمليات الإجرائية التي تقدم للطلبة في أثناء تعلمهم لإنماء شخصياتهم، والخدمات الطلابية لمتابعة تعليمهم بنجاح وحل المشكلات التي يواجهونها في أثناء دراستهم لتعظيم دافعتيهم وتعزيز مسيرتهم التعلمية بقوة بالاتجاه السليم للحصول على أحسن النتائج.

٤. التصميم التعليمي للمادة الدراسية والعمل على تحسينها بصورة مستمرة، من خلال: تحديد الأهداف التعليمية الصادقة، واختيار المادة التعلمية بدلالة الأهداف، تفاعل الطلبة مع المادة التعلمية وطرق تدريسها وتعلمها وتحديد آليات القياس والتقويم، الوسائط التعلمية التي تستخدم في تعليم المادة الدراسية، المرونة في تحسين المقررات الدراسية بهدف تطويرها وتحديثها للتوازن مع المتغيرات.

٥. تقديم المساندة لأعضاء هيئة التدريس: وفيها يدرب المدرسين على قراءة المقررات الدراسية، والوقوف على مضامينها، والطريقة الأنسب لتقديمها إلى الطلبة، فضلاً عن التقنيات التي تستخدم في تقديمها من خلال الوسائط التعليمية المتعددة، إضافة إلى طرق تقييم نتائج الطلبة فيها، وتشخيصها، واستخراج التغذيات الراجعة التي تعمل على تحسينها من حيث التنظيم والشرح والتفسير في ضوء خبرات المتعلمين، الوقوف على آراء الطلبة في عمليات التعليم لفرض التحسين

والتطوير. كما يمكن تحديد النصاب التدريسي للمدرسين ليتمكنوا من القيام بمتطلبات التدريب، والبحث العلمي وانتاج المواد التعليمية لتحسين تعليم الطلبة.

٦. طرائق تقديم المواد التعليمية: يوجد لمؤسسات التعلم عن بعد، سياسات في اختيار طرائق التعليم من أجل ضمان الجودة والنوعية في المواد التعليمية المطروحة في البرامج، إضافة إلى الوسائط المتعددة التي ينبغي استعمالها من قبل المدرسين والطلبة داخل هذه المؤسسات التعليمية لتحقيق ضمان الجودة والنوعية من هذه البرامج المطروحة.

٧. الموارد المالية وإقتصاد التعليم: إن توفير التمويل يمثل أبرز العناصر الأساسية في تأمين الجودة والنوعية في برامج التعلم عن بعد وهنا تبرز الجدلية بين الإبداع في البرامج التعلمية والاقتصاد في التعليم، فالتعليم قيمة اجتماعية تتجاوز حالات الاقتصاد لتحقيق الإبداع والنوعية في التعلم عن بعد، وهذا التوجه التربوي يجعلنا متنبهين إلى أهمية توفير البنية التحتية في مؤسسات التعلم عن بعد، من أجل تسهيل مهمة تصميم البرامج التعلمية بأعلى مستوى إبداعي ممكن.

٨. التشريعات والقوانين والتعليمات الناظمة: من الضروري احترام مؤسسات التعلم عن بعد، التشريعات والقوانين التي تضعها الحكومات أو الهيئات المشرفة على المؤسسات التعلم عن بعد، لكي تعمل هذه المؤسسات في ضوء هذه الأنظمة، وتصبح مسايرة للنسق الثقافي العام للمجتمع التي توجد فيه، فيسهل اعتمادها ويزيد الثقة بها من قبل الطلبة والأهالي.

٩. الاحكام التقييمية: ويدور حول تقييم البرامج التعلمية التي تطرحها مؤسسات التعلم عن بعد وعادة ما يؤسس هذا على تقييم فاعلية البرامج التعليمية عن طريق وسائط متعددة وفق معايير موضوعية محددة، ومنها على سبيل المثال:

أ- قياس رضى الطلبة عن طريق الأدوات المسحية للآداء.

ب- قياس رضى المدرسين عن طريق الأدوات المسحية وآراء الزملاء.

ج- معدل نسبة الطلبة الناجحين والراسبين والمتسربين.

د- قياس مدى استعمال الطلبة للمكتبة، ومصادر التعلم المختلفة وحجم إعارة الكتب من المكتبة وعدد رسائل الاتصالات الالكترونية.

هـ- مدى اكتساب الطلبة لمهارة الاتصال والاستيعاب والتحليل من خلال عقد اختبارات قدرات.

و- درجة تحقيق مخرجات البرنامج بدلالة أهدافه المرسومة.

ز- مراجعة تقييمه دورية لمخرجات البرنامج (الحنيطي، ٢٠٠٣).

السؤال الرابع: ما معنى ضمان الجودة والنوعية للتعلم المفتوح والتعلم عن بعد؟

يختلف التعلم المفتوح والتعلم عن بعد، عن طبيعة التعلم التقليدي في مؤسسات التعليم العالي فالتعليم التقليدي يركز على المؤسسة والمدرس، وتحقيق الأهداف الكمية التي تستند إلى معايير كمية،

والأهداف التي تتغير ببطئ وصعوبة في إطار الوقت الثابت والتعلم المتغير، الذي يركز على العمليات التي تتم فوق البنية التحتية المتوفرة من قبل، في إطار من نظام تعليمي وإداري متسلط لا يراعي رغبات المتعلمين، أو احتياجاتهم الحقيقة وأن الغاية النهائية منه تلقين الطلبة. بمجموعة من الخلفيات النظرية التي تتكون من الحقائق والمفاهيم والمبادئ والقوانين والخبرات التعلمية التي يستظهرها الطلبة عن طريق محاضرات المدرسين والخطاب المدرسي المدون في الكتب المدرسية المقررة عليهم، وعادة ما يركز التعليم التقليدي على البعد المحلي والوطني والقومي.

في حين أن الجودة في مؤسسات التعلم عن بعد تركز على دور الطالب في العملية التعلمية بدلاً من التركيز على المدرس، والاهتمام بالخبرات التعلمية التي تتصل باحتياجات المتعلمين ورغباتهم، وتسعى لتحقيق المعايير محكية المرجع التي ترمي إلى تحقيق معايير نوعية أو كيفية، في إطار تصميم التعليمي المرن الذي يتصف بالدينامية والحركة والتغيير في إطار من تنظيم العلاقات الجديدة بين التعلم والوقت خلافاً لما هو في التعليم التقليدي، حيث يعتبر التعلم عاملاً ثابتاً في حين أن الوقت الذي يتم فيه التعلم عاملاً متغيراً لكي يتفق مع ظروف المتعلم وخصائص الوسائط المتعددة. بقصد التركيز على خصائص المخرجات من الطلبة، من خلال نظام تعليمي يراعي احتياجات المتعلمين وخصائصهم وما يتطلبون من خدمات في إطار إنساني يراعي رغبات الطلبة في بيئة اجتماعية تتصف بالديمقراطية وتنويع أساليب التعليم لمواجهة الفروق الفردية بينهم، عن طريق الاعتماد على مدرسين يملكون القدرات ويتمتعون بمهارات تعلمية عالية لكي يتمكنوا من استخدام تعلمية متعددة تتكيف مع الظروف. التعلمية واستخدام أنظمة الالكترونيات الرقمية التي يسرت أمام التعليمية المتعددة التي أسهمت في إسقاط تأثير البعد الجغرافي بسبب الاعتماد "على المهن الالكترونية الذي ينضوي تحته التعلم الالكتروني أو التعلم عن بعد" عيسى (٢٠٠٣، ص٢).

مسوغات ضمان الجودة والنوعية في التعلم عن بعد:

يحتل موضوع ضمان الجودة والنوعية اهتماماً كبيراً لدى الجهات المسؤولة عن اعتماد مؤسسات التعليم العالي وتنطلق مسوغات ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي عن بعد من قضايا جوهرية أهمها:

أ. رغبة الجهات المسؤولة في تحسين أداء مؤسسات التعلم عن بعد، واهتمامهم بمراقبة أدائها وخدماتها وإنتاجها من المخرجات.

ب. حماية الطلبة وصيانة المجتمع من عمليات الاستغلال، من خلال طرح البرامج التعليمية المتدنية التي تضر بالوطن والمواطنه.

بعد أن حصلت مؤسسات التعلم عن بعد، الاعتراف الدولي للشهادات التي تصدرها للطلبة الذين يحققون شروط التخرج فيها ، فإن المجالس الحكومية، والمنظمات الخاصة التي تعنى بالتعليم العالي في الجامعات العربية وغيرهم، أخذت تهتم بإخضاع هذه الجامعات إلى عمليات مستمرة من المراقبة للتوكيد من ضمان الجودة في برامجها التعلمية عن بعد، وذلك لحماية الطلبة من المستوى المتدني الذي قد يصيب

برامجها الأكاديمية. وفي هذا السياق فإن هناك صعوبات تنهض أمام هذه الأعمال التقويمية التي من شأنها وضع آليات فعالة لضمان الجودة في هذه المؤسسات ومن هذه الصعوبات ما يلي:

١. صعوبة المعايير: إن المعايير الموجودة حالياً لضمان الجودة في برامج التعليم العالي، هي ملائمة للجامعات التقليدية، إما الجامعات المفتوحة والتي تعلم عن بعد، فليس هناك معايير ملائمة لقياس فاعلية البرامج التعليمية فيها، لأنها تقوم على متغيرات جديدة هي: نوعية المتعلم ومصادر التعلم، ووسائطة المتعددة، ونظراً لعدم توافر المعايير الملائمة للوضع الجديد في الجامعات، أخذت بعض الجهات المهمة بأمر الاعتماد والتعلم النوعي في جامعات التعلم عن بعد تضع بعض الإرشادات والأسس العريضة للمفاضلة، ولكن تعدد الجهات المسؤولة عن هذه الموضوع زاد من حالات الجدل حولها وجعلها من الأمور الصفية غير الموضوعية في تطبيقها على مؤسسات التعلم عن بعد مسألة في غاية الصعوبة بسبب التباين بين هذه المعايير غير الملائمة.

٢. صعوبة الحدود الجغرافية: إن مؤسسات التعلم عن بعد، تتجاوز الحدود الجغرافية، وقد تكون في بيئات أخرى خارج الوطن، ولهذا قد يصعب تطبيق الإجراءات القانونية على مؤسسات التعلم عن بعد، لأنها لا تخضع إلى القوانين المحلية، فإن خالفت هذه الجامعات المعايير المعتمدة في الأردن. أو معايير الجودة المعتمدة هنا، فإنه يصعب علينا محاكمتها، لذلك يعرضنا إلى خسائر وأضرار قد تلحق بالطلاب الملتحقين فيها.

٣. صعوبة المراقبة والسيطرة: إن التوسع في برامج التعلم عن بعد، وتعدد أشكاله وأنماطه ووسائطه، فإنه يصعب ضبطها بالتشريعات المحلية، كما أن مراقبتها يصبح مسألة صعبة، وأمام هذه الصعوبات فإن الحكومات تلجأ إلى نوعية المواطنين والملتحقين في هذه البرامج ليكونوا قادرين على نقد برامجها بصورة ذاتية.

٤. صعوبة الاعتراف بالبرامج واعتمادها: ما زالت مسألة الاعتراف، تمثل قضية جدلية فيها شيء من الشك والمريبة وعدم اليقين، بين مؤسسات التعليم العالي في جغرافيتها المختلفة، الأمر الذي يخلق صعوبة في تبادل حالات الاعتراف والاعتماد فيما بين هذه البرامج التعلمية عن بعد، وقد يؤدي ذلك في نهاية الأمر إلى خلق مشكلات تحول دون تقديم البرامج في هذه الجامعات.

٥. صعوبة قياس الجودة والنوعية: يواجه التعلم عن بعد بشكل خاص بعض المشكلات، لأن التعليم فيه يقع على مسؤولية الطالب، وطرائق التدريس، والوسائط المتعددة، وبالرغم من ذلك فهناك خصائص يمكن اعتبارها في سياق جودة التعليم العالي ومنها:

١: ٥ قياس الجودة بدلالة المدخلات التي تتمثل: بالطلبة وتحصيلهم ومعدلاتهم، وامتحانات القبول للجامعة.

٢: ٥ قياس الجودة بدلالة العمليات التي تركز على عمليات التعلم والتعليم والخطة الدراسية ومصادر التعلم وأعضاء هيئة التدريس وتعينهم وترقيتهم وتطويرهم مهنياً.

٣: ٥ قياس الجودة بدلالة المخرجات: ويتم ذلك عن طريق خصائص المخرجات وتأهيلهم وإكسابهم المهارات الأساسية التي تمكنهم من اختيار الامتحانات المهنية.

٤: ٥ قياس الجودة في ضوء آراء الخبراء: ويتم قياس الجودة عن طريق مقيم خارجي، أو اللجان المتخصصة التي تتفحص الجوانب الأساسية التي تتطلبها معايير الجودة في مؤسسات التعلم عن بعد.

٥: ٥ قياس الجودة بدلالة تحقيق متطلبات وشروط الممارسة الحسنة والمعايير المعتمدة للجودة بمدى التناسق بين الواقع وما فيه من سياسات وبنية تحقيقية وبيئة تعليمية متوفرة في مؤسسات التعلم عن بعد، وبين بنود ومعايير الممارسة الجيدة للتعلم عن بعد أو معايير الجودة كما تحددها هيئات الاعتماد المحلية والدولية، الحنيطي (٢٠٠٣، ص٩).

ويمكن لمؤسسات التعلم عن بعد، أن تحقق الجودة والنوعية في برامجها إذا قامت هذه المؤسسات بصورة ذاتية للتخلص من الأخطاء التي تقع في الممارسات، وتحسين جودة الخدمة، المقدمة للطلبة والعاملين فيها، وبعض آليات المراقبة وعمليات التقويم المستمر وهذا يتطلب من المؤسسة أن تقوم بما يلي:

أ- رسم سياسات الجودة: تحديد المسؤول عن نظام الجودة، وكيفية المراقبة، وتحديد المتطلبات والإجراءات، وكيفية تنفيذ هذه الإجراءات لتحقيق الأهداف.

ب- القيام ببعض الإجراءات التي تحسن الخدمات التعلمية التي تزيد من تحصيل الطلبة.

ج- توضيح تعليمات العمل وتوثيقها لتكون واضحة.

د- مراجعة تضمن تنفيذ الاجراءات بشكل جيد.

هـ- الإجراءات التصويبية: التغذية الراجعة المرشدة على المؤسسة بهدف التطوير.

الجودة ومعايير الاعتمادية في مؤسسات التعلم عن بعد:

في ضوء التجربة البريطانية، والأمريكية، والإردنية:

يوجد لدى العديد من الدول، تجارب ناجحة في تطبيق معايير الاعتمادية على مؤسسات التعليم العالي عن بعد ومن أهم هذه التجارب التجربة البريطانية والتجربة الأمريكية فضلاً عن التجربة الأردنية في موضوع الاعتمادية، أما هذه الدراسة فسوف تقوم بتحديد المعيارية لمؤسسات التعليم العالي عن بعد، في جزء التجارب الثلاث، بهدف تكامل الخبرات في هذه الدراسة.

الاعتمادية وأهميتها:

فالأعتمادية هي شهادة بأن مؤسسة التعليم العالي قد حققت المعايير التي وضعت لهذه الغاية من قبل جهة الاعتماد الحنيطي (٢٠٠٣ ص١٤) والجهات التي تمنح الاعتمادية هي متنوعة لبعضها حكومي، والبعض الآخر هيئات غير حكومية، ولكنها معتمدة لهذا الغرض على المستوى الدولي. وتقوم هذه الجهات بمنح الجامعات الاعتمادية بعد فحص خططها وبنيتها وإدواتها وطرائقها وتسهيلاتها والطلبة فيها في ضوء معايير موضوعية محددة لهذا الغرض. يمكن الإطلاع عليها لاحقاً. وتبرز أهمية الاعتمادية عن طريق الشهادة التي تنالها مؤسسات التعلم عن بعد، من الجهات أو الهيئات المخولة دولياً أو وطنياً أو إقليمياً لفرض الاعتمادية وبالاعتمادية فإن الجامعات التي تنالها تحصل على الاعتراف الدولي بما تمنحه من شهادات، وبرامج تعلمية، وتمنح الطلبة شهادة تقدير واعتزاز بالمؤسسة التي يدرسون بها، وتعطيهم سمعة حسنة ومستوى أكاديمي متميز عند تشغيلهم في الميدان أو انتقالهم إلى جامعات أخرى لمتابعة تعليمهم العالي.

الجودة في مؤسسات التعلم عن بعد:

يمكن تحديد معايير الجودة في مؤسسات التعلم عن بعد في ضوء التجربة البريطانية والتجربة الأمريكية والتجربة الأردنية بما يلي:

١. الفلسفة والأهداف: يكون لمؤسسات التعلم عن بعد، فلسفة تربوية تحدد فيها القيم التربوية التي تتطلع لتحقيقها ورسالتها وهويتها الثقافية والمعرفية والوطنية والإنسانية. وما ترمي إليه من أهداف تتعلق بالإنسان والمجتمع والهوية الثقافية والعلم والمعرفة والدور الاجتماعي الذي ينتظره الخريج بعد تخرجه منها، ليكون إنساناً يعمل ويشارك الآخرين في بناء الحضارة الإنسانية.

٢. تقييم الجودة في بنية الخطط الدراسية: ولتحقيق الجودة فيها يجب توفر الخصائص الاساسية والتي تتمثل في:

١: ٢: تصميم الخطة الدراسية، وتنظيم محتوى المقررات فيها بما يكفل بيان الأهداف، والخبرات التعلمية، وطرائق التدريس والأنشطة وطرائق التقويم، ومصادر التعلم، والمراجع المرتبطة بالخطة.

– تعطى ٤ علامات لكل بند ، وعلامة النجاح ١٧ من ٢٠ –

٢:٢: البيئة التنظيمية: يكون لمؤسسة التعليم العالي التي تطرح التعلم عن بعد بنية تنظيمية أكاديمية وإدارية تناسب نمط التعلم عن بعد ومن الضروري أن يشمل على هذه العناصر أدنى:

- مجلس الأمناء أو ما يماثله يكون مسؤلاً عن رسم سياساتها وتأمين مواردها المالية.
- هيكلاً تنظيمياً يستطيع أن يديرها أكاديمياً وإدارياً بكل كفاية ودقة وسرعة.
- إقساماً أكاديمية معتمدة تعطي الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعة.

- رئيساً تنفيذياً يكون مسؤولاً عن إدارة الجامعة وشؤونها المختلفة.
- وحدات وظيفية وفنية لتنفيذ برامجها وتحقيق أهدافها

٣: ٢: تصميم النظام التعليمي: أي تصميم النظام التعليمي المنوي استعماله بصورة مناسبة، وان يوضح للجمهور والطلبة بكل وضوح وبشكل مكتوب: ويشمل على:

- توضيح النظام التعليمي الذي سيتبع في مؤسسة التعلم عن بعد، ساعات معتمدة، فصلي، سنوي، وأيام الدراسة، أسبوعياً وساعات التسجيل في كل فصل والالتحاق بالجامعة، والتسجيل للمقررات والامتحانات ومنح الشهادات.
- سياسة المؤسسة في ضمان الجودة، ونوعية التعليم.
- هيكلية النظام وتوزيع المسؤوليات لتحقيق الأهداف.
- وسائط التعلم ومناسبتها للنظام (المكتبات، المختبرات).
- الخدمات التي يوفرها النظام من اتصالات الكترونية وعادية ومعلوماتية وحواسيب بسبب وحماية وأمن معلومات.
- الرخص والاعتمادات التي منحت للمؤسسة.

٤:٢ المراجعة الاكاديمية ***Institutional Audit***: وهو تقويم خارجي يقوم به فريق أكاديمي متخصص من خارج الجامعة لعدة أيام للتأكد من جودة التعليم في الجامعة، تعد مراجعة جميع الجهات ذات العلاقة بالجودة والأكاديمية وهم الطلبة والاساتذة والمسؤولين عن الجودة في الجامعة ... ثم تكتب هذه اللجنة تقريراً من خيارات ثلاث هي: ١) الثقة عالية. ٢) ثقة محددة، ٣) عدم ثقة.

٥: ٢: تحقيق المعايير الأكاديمية والنوعية في تصميم البرامج التعليمية وتتحقق من خلال:

- التأكد من سوية البرامج الأكاديمية التي تطرحها مؤسسات التعلم عن بعد وأن الشهادات التي تمنح للطلبة تعادل الشهادات الموازية التي تمنحها الجامعات التقليدية.
- تحقيق التوازن بين الأهداف والمحتوى وطرق التقويم في المقررات الدراسية.
- أن تجدد الجامعة المتطلبات السابقة للبرنامج وكل مادة تعليمية وتوضحيها بشكل شفاف للطلبة.

٦ : ٢: البيئة التعلمية التعليمية: ضرورة التزام جامعات التعلم عن بعد بما يلي:

- توفير العدد الكافي والمؤهل من أعضاء هيئة التدريس والكوادر المساعدة لكل تخصص.
- ٣ أعضاء هيئة تدريس لكل تخصص من حملة شهادة الدكتوراه لأعداد المناهج الدراسية، والموارد الدراسية، والتدريس.
- أعضاء هيئة تدريس لإرشاد الطلبة بمعدل الكل ٥٠ طالب وطالبة.
- مساقات الدراسات العليا يقوم بتدريسها حملة دكتوراه برتبة أستاذ متخصص في الموضوع الذي يدرسه.

- ضمان سوية المادة العلمية من حيث المحتوى والنوعية والدقة وسهولة إيصالها للطلبة وتحديثها.
- توفير ستوديوهات للبث مجهز بالوسائط المستخدمة في التدريس إضافة إلى مركز الحاسوب والاتصالات.
- تفاعل الطلبة مع المدرسين من جهة وبعضهم من جهة أخرى من خلال الوسائط التعليمية المتعددة (البريد الالكتروني، والدردشة، والحوار والبريد الناطق وغيرها مما يتوافر في الجامعة).
- تعليم الطلبة أساليب البحث العلمي وكتابة التقارير المنهجية وتوثيق المراجع.
- توفير المراجع العامة والمصادر الأساسية والمعاجم والموسوعات المحوسبة والمكتبة العادية والمكتبة الإلكترونية والأقراص المدمجة ***CDs***.
- الاشتراك في قواعد البيانات الالكترونية وتشجيع الطلبة على البحث عن المعلومات عن طريق الاتصال المباشر ***Online Access***.

٧: ٢: تقييم الطلبة وآلياته: وعلى مؤسسات التعلم عن بعد أن توضح ما يلي فيما يتعلق بتقييم الطلبة:

- الآليات والإجراءات التي تتبعها في تقييم الطلبة وأماكنها والمنهجية المعتمدة لضمان سريتها ومصداقيتها.
- تقييم الطلبة عن طريق الاختبارات المحوسبة المتصفة بالصدق والثبات والسرية العالمية لتحقيق العدل الاجتماعي وتكافؤ الفرص بين الطلبة.
- توضيح سياسات الامتحانات ومناسبتها للمادة التعليمية، واستخدام الإجراءات المناسبة للتأكد من صدق الامتحانات وحماية النتائج وأمن الامتحانات ومراقبتها.

٨: ٢: البنية الفنية والتكنولوجيا:

- ضرورة توفير الأجهزة والمعدات ووسائل الاتصال والشبكات المحلية والقومية والعالمية.
- توفير مشكلات ***Servers*** ذوات كفاءة عالية وبمواصفات عالية الجودة، وحديثة وقابلة للتوسع، لتأمين الخدمات اللازمة للتعلم عن بعد او التعلم الإلكتروني مع ضمان استمرارية الخدمة على مدار الساعة.
- توفير بيئة تحتية مناسبة لشبكة الاتصالات المحلية وربطها مع جميع المرافق للخدمات في الجامعة لتدعيم التعلم عن بعد والتعلم الالكتروني.
- ربط الأجهزة مع شبكات المعلومات الخارجية وخاصة شبكة انترنت ذو مجال عالٍ للتراسل بسرعة لا تقل عن ***2Mbps*** على أن يتم إضافة ***32Kbps*** لكل طالب.
- توفير أجهزة حواسيب شخصية حديثة ومتطورة وذات كفاءة عالية مرتبطة ضمن الشكبة في المختبرات ومراكز خدمة التعلم.

- مختبرات حاسوب مجهزة بأجهزة الحاسوب الشخصي بما يكفي للطلبة، وطابعة وجهاز ماسح ضوئي ***Scanner***.
- غرف ذكية تحتوي على وسائل تدريس المرئية عن بعد ***video Conferencing*** لكل مركز اتصال تعليمي.
- مركز خدمات لدعم انتاج الوسائل السمعية عن طريق الحاسوب ليساعد الطلبة على ادماج التكنولوجيا في بنى التفكير مع المناهج الدراسية.
- البرمجيات المناسبة والفعالة لنظم التشغيل اللازمة للنشاطات التعليمية.
- مختبرات عملية اعتيادية لعمل التجارب العملية أو محاكيات الكترونية ***Simulations*** لعمل تجارب عملية مماثلة.
- مواقع الكترونية وبوابات متكاملة ***Integrated Environment*** توفر بوابة الكترونية ***online***، ومواقع الكترونية ومجتمع افتراضي وقنوات الاتصال اللازمة للمؤسسة ووظائفها ونظم إدارة التعلم الالكتروني.
- آليات ضبط الجودة وإدارتها. يهدف تقييم الأداء النوعي وبرامج التعلم عن بعد.

التوصيات:

- ضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة للاعتراف بهذا النمط من التعليم الذي يخرج طلبة متميزين كما هو الحال في الجامعات التقليدية.
- ضرورة التوسع في التعلم عن بعد في مؤسسات التعليم العالي، لأنه يمثل الآفاق المستقبلية لفتح مجالات التعلم العالي أمام المحرومين من التعليم العالي في الوطن العربي دعماً للديمقراطية الاجتماعية وحقوق الإنسان.
- وضع معايير اعتماد أكاديمي للاعتراف بجامعات التعلم عن بعد.
- ضرورة متابعة الإشراف على مؤسسات التعلم عن بعد لضمان الجودة والنوعية في المخرجات.

المراجع

- معايير الاعتماد العام للجامعة التي تطرح برامج التعلم عن بعد ٢٠٠٢ منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردنية، عمان، الأردن.
- يحيى، ابراهيم (٢٠٠١) التعليم الافتراضي وتقنياته، منشورات المركز الجامعي ورقله – الجزائر، شبكة المعلومات http://www.onargla.dz
- وقائع مؤتمر التربية الافتراضية والتعلم عن بعد، الواقع وآفاق المستقبل، جامعة فيلادلفيا، الأردن، ٢٠٠٣.
- الحنيطي، عبد الرحيم (٢٠٠٣) العمل التشاركي اساسي نجاح مؤسسات التعليم الافتراضي، جامعة ابن سينا الافتراضية نموذجاً، وقائع مؤتمر التربية الافتراضية والتعلم عن بعد، الواقع وآفاق المستقبل، جامعة فيلادلفيا، الأردن.

- *C ode of practice for Providins and a quality asswance system, British Associalion For open learning 2001.*
- *T wigg, C,A. (2003) quality Asswance for whom? Providers and consumers in today's distributed learning Enrironment the pew Learning and Technology program. V.S.A.*
- *C ouncil of Regional Accrediting commission (2000) Available at http://www.wich.edu/telecom.*
- *T ait, A. (1997) Perspective on Distance Education quality assurance in higher Education. Selected case studies common wealth of learning, publication, vancourer.*